# شعر نزار قباني في النقد الأكاديمي الجزائري النقد التاريخي (أنموذجاً)

# Nizar Qabbani's poetry in Algerian academic criticism and historical criticism (a model).

**إيمان خضير محمد**
**د. وسن عبدالغني مال الله المختار**
**جامعة المَوصل/ كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربيَّة**

**Iman Khudair Muhammad**
**Dr. Wassan Abdul Ghani Mal Allah Mokhtar**
**University of Mosul / College of Education for Girls / Department of Arabic Language**

ial544723@gmail.com

**تاريخ الاستلام** ٢٠٢١/٣/٢٢ **تاريخ القبول** ٢٠٢١/٦/١٣

**الكلمات المفتاحية: النقد التاريخي– الشاعر– الرسائل الاكاديمية– الأساليب– النصوص.**

**Keywords: historical criticism– poet– academic letters– methods– texts.**

**الملخص**

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على شعر نزار قباني في النقد الجزائري (النقد التاريخي أنموذجاً)، فكما هو معروف أن نزار قباني شاعر معاصر أثار الجدل كثيراً في الساحة الأدبية والنقدية، فعكف الباحثون على دراسة شعره دراسة علمية للكشف عن سماته، وأساليبه، وقد كانت الجزائر هي إحدى البلدان العربية التي تناولت شعر نزار قباني في دراساتها الأكاديمية ضمن المناهج المختلفة، فجاء هذا البحث تقصياً لهذه الدراسات من رسائل وأطاريح، وطريقة تناولها لشعر نزار قباني من خلال آليات المنهج التاريخي وأسسه التي أقرها نقاده في تناول النصوص أو الظواهر الأدبية.

**Abstract**

This paper aims to shed light on Nizar Qabbani's poetry in Algerian criticism (historical criticism As it is known that Nizar Qabbani is a contemporary poet who has raised a lot of controversy in the literary and critical arena. This research came as an investigation of these studies of letters and narrations, and the way they dealt with the poetry of Nizar Qabbani through the mechanisms of the historical method and its foundations approved by his critics in dealing with texts or literary phenomena.

.

## النقد التاريخي

**أولاً- مفهومه وأعلامه وأسسه:**

وهو نقد قائم على المنهج التاريخي الذي يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلةً لتفسير الأدب وتعليل ظواهره وخواصه. وهذا المنهج لا يستقل بنفسه، فلا بد من استعانته بـ(المنهج الفني) لأن التذوق والحكم ودراسة الخصائص الفنية ضروريةً في كل مرحلة من مراحل المنهج التاريخي[١]، وعرف أيضاً على أنه "التاريخ الأدبي لأمة ما، ومجموع الآراء التي قيلت في أديب ما أو في فن من الفنون"[٢]، وهو النقد الذي يرصد تشكل خصائص الاتجاهات الأدبية، ويعين على فهم البواعث والمؤثرات في نشأة الظواهر والتيارات الأدبية المرتبطة بالمجتمع، وذلك انطلاقاً من قاعدة الإنسان ابن بيئته[٣]، فالنقد التاريخي يلقي الضوء على الأثر الفني وتقصي الملابسات والظروف التي تكتنف حياة الشاعر أو الكاتب، وتعين في فهم النص الأدبي، وتساعد القارئ / الناقد في إرجاع الأشياء إلى أصولها[٤].

وهذا النقد قائم على تتبع النص الأدبي تتبعاً تاريخياً في رحلته الطويلة، رابطاً بين العصور السياسية التي مرت بها الدول وبين حركة الأدب وتطوره[٥]، فيفسر الباحث فيه ماضي الظواهر الأدبية ووصفها، ويجب أن يعتمد في ذلك على الحقائق المؤكدة والثابتة، استناداً إلى الوثائق الأصلية في استجلاء الوقائع الأدبية وما يتصل بها من أحداث تترابط بوصفها كلاً وظيفياً، وهذا ما يضفي على الأدب عنصراً دينامياً متغيراً؛ لذلك كان على الباحث دراسة الوقائع من خلال حركتها وتغيرها وربطها بمصادرها ضمن الإطار الثقافي والاجتماعي بوجه عام[٦].

والباحث في هذا النقد إذ فقد توازنه زلت قدمه واختل ميزانه، وحكمه العصر بمقياسه وحكمه، فأصبح النص الأدبي لديه مادة للتاريخ، ولم يصبح التاريخ مادةً للنقد، لذا يقتضي

---

(١) ينظر: في النقد الأدبي، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٧٢م: ٢٨٨.

(٢) مناهج النقد الأدبي، بوسف وغليسي، جسور للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٧م: ١٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٥.

(٤) ينظر: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م: ٤٢٥.

(٥) ينظر: مناهج البحث الأدبي، يوسف خليف، دار الثقافة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م : ٣٩.

(٦) ينظر: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر مع ملحق قاموس المصطلحات الأدبية، سمير حجازي، دار التوفيق، سوريا، ط ١، ٢٠٠٤م: ١٢٧.

على الناقد أن يحدد منذ البدء علاقته بالتاريخ، إذ إن صميم عمله هو النص الأدبي بما فيه من عواطف وأخيلة، فيستعين بتاريخ العصر ونظمه السائدة لاستجلاء خفايا النص الأدبي، وإدراك ما وراء حروفه، ومعرفة ما تضمنه من وقائع وأحداث ومواقع وأعلام، وتحديد ما كان لألفاظه ومصطلحاته من دلالات خاصة(١).

فالنقد التاريخي "هو الذي يرمي قبل كل شيء إلى تفسير الظواهر الأدبية والمؤلفات وشخصيات الكتاب، فهو يعنى بالفهم والتفهيم أكثر من عنايته بالحكم والمفاضلة"(٢)، وهذا يتطلب معرفة بالماضي السابق لهم، ومعرفة بالحاضر الذي يحوطهم، وتحسس للآمال التي كانت تجول بالنفوس في أيامهم، ومن هنا يلزم على من يعتمد النقد التاريخي في دراسته أن لا يكتفي بدراسة المؤلف الأدبي الذي أمامه حسب، بل لا بد من أن يحيط بما ألفه الكاتب كافة ليكون حكمه صحيحاً شاملاً(٣).

وفي ضوء ما تقدم فالنقد التاريخي "هو ممارسة علمية منهجية ينتقل بموجبه المؤرخ من مرحلة القراءة والاقتباس إلى مرحلة الفحص والتدقيق والتمحيص بغية الوصول إلى الحقيقة التاريخية بحياد تام، وعبر سلسلة من الأدوات المترابطة التي تصنع تاريخياً من خلال مادته وحقائقه"(٤)، وتكمن أهميته في قراءة وقائع التاريخ وحوادثه على أسس علمية واقعية، بعيداً عن الحب والكراهية والصراع بين الأنا والآخر، أو التعصب لفكر أو جماعة أو مجتمع، إلخ...(٥).

والنقد التاريخي اتسم بالازدهار في أحضان البحوث الأكاديمية المتخصصة التي بالغت في اتخاذه منهجاً لا يرتضى بدلاً عنه، فضلاً عن قيامه بالربط الآلي بين النص الأدبي ومحيطه السياقي، واعتبار الأول وثيقة للثاني، واهتمامه بدراسة المدونات الأدبية العريضة الممتدة تاريخياً، مع تركيزه على أكثر النصوص تمثيلاً للمرحلة التاريخية المدروسة وإهمال التفاوت الكبير بين أدباء العصر والمكان الواحد(٦).

---

(١) ينظر: مقدمة في النقد الأدبي، علي جواد الطاهر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م: ٣٩٨.

(٢) في الأدب والنقد، محمد مندور، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م: ١٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٧ – ١٨.

(٤) المستخلص في النقد التاريخي مفهوم الوثيقة التاريخية – قواعد النقد التاريخي نقد التاريخ القديم، عارف أحمد إسماعيل المخلافي، دار النشر للجامعات، صنعاء، ط١، ٢٠١٤م: ٥.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٥.

(٦) ينظر: مناهج النقد الأدبي، يوسف وغليسي: ٢٠.

فالنقد التاريخي يبالغ في التعميم والاستقراء الناقص، فضلاً عن اهتمامه بالمبدع والبيئة الإبداعية على حساب النص الإبداعي، وتحويل كثير من النصوص لوثائق معتمدة في تأكيد بعض الأفكار والحقائق التاريخية، ويذكر بأن تعامله مع النصوص المدروسة يكون على اعتبار أنها مخطوطات بحاجة إلى توثيق، فأهميته تكمن بما يقدمه من جهود مضنية في تقديم المادة الأدبية الخام، أما دراسة هذه المادة في ذاتها فهي أوسع من أن يستوعبها ضمن قالبه المنهجي(١).

في ضوء ما تقدم آنفاً يتبين لنا أن النقد التاريخي يقوم على منهج تاريخي يعكف على دراسة النصوص وتحليلها ضمن تخومه التاريخية المتمثلة بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكل ما يساعد في تفسير تشكل النص الأدبي.

وإن من أبرز ممثلي النقد التاريخي **سانت بيف**(١٨٦٩م)، و**هيبوليت تين** (١٨٩٣م)، و**برونتيير**(١٩٠٦م)، فسانت بيف كان قد دعا إلى دراسة الأدباء دراسة علمية تقوم على بحوث تفصيلية لعلاقاتهم بأوطانهم وأممهم وعصورهم وأسرهم وتربياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية وخواصهم النفسية والعقلية وثقافاتهم وتكويناتهم المادية والجسمية، فضلاً عن التعرف على ما يتصل بهم من عادات وأفكار ومبادئ(٢)، ورأى أن "الأدب ليس إلا نتاجاً لشخصية الفرد، وهذا ما دعاه لأن يرسم في كل ما كتب صورة أخلاقية ونفسية وأدبية للأدباء الذين درسهم أكثر مما سعى لتقديم دراسات قيمة بحق أدبهم"(٣)، أما تين فيرى أن الأدب ليس سوى ثمرة للقوانين الجبرية التي تمنحه خصائصه وتميزه عن سواه وهي: الجنس، والبيئة، والعصر، إذ عكف تين على دراسة الآثار التي تخلفها هذه العوامل الثلاثة في الأديب وإنتاجه بوصفها التربة التي نشأ في ظلها وتغذى عليها واكتسب خصائصه النوعية منها(٤).

والمراد بـ(**الجنس**) أي: مجموع الخصائص الفطرية الوراثية المشتركة بين أفراد المجتمع الواحد المنحدرة من جنس معين، وأما (**البيئة**)، فهي المكان أو الوسط الذي نشأ فيه النص بمعنى الفضاء الجغرافي وانعكاساته الاجتماعية على النص الأدبي، في حين أراد بـ(**الزمان**) أو (**العصر**) مجموع الظروف السياسية والثقافية والدينية المؤثرة التي تمارس تأثيرها على

---

(١) ينظر: مناهج النقد الأدبي، يوسف وغليسي: ٢٠.

(٢) ينظر: البحث الأدبي طبيعته . مناهجه. أصوله. مصادره، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٧، ١٩٩٢م: ٨٦.

(٣) دليل النظرية النقدية المعاصرة، بسام قطوس، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط ١، ٢٠٠٤م: ٤٥.

(٤) ينظر: النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه: ٨٢.

النص[١]، وإن "أبرز ما يمكن أن يوجه من نقد لهذا التصور هو إنكاره أهمية الفرادة، واللجوء إلى تعميم التصور القائم على أهمية الزمان والمكان والجنس، علماً بأن هذه العوامل لا ينكر تأثيرها، بيد أن المبالغة في وصف الأديب بالخضوع التام لهذه العوامل الجبرية يظل مثار تساؤل الباحثين الذين يعتقدون أن العبقرية لا يمكن أن تحدها القوانين، وهي دائماً تتجاوز الظروف وتتخطى الأزمنة"[٢].

أما برونتيير، فقد آمن بنظرية التطور عند داروين وطبقها على الأدب، إذ تصور أن الأنواع الأدبية كائنات عضوية متطورة، فكما تطور القرد إلى إنسان، تطور الأدب كذلك من فن إلى آخر، وقد ألف كتابه **(تطور الأنواع الأدبية)** على غرار كتاب **(أصل الأنواع)** لداروين، إذ رأى أن الآداب تنقسم على فصائل أدبية مثلها مثل الكائنات الحية، وتنمو وتتكاثر متطورة من البساطة إلى التركيب في أزمنة متعاقبة حتى تصل إلى مرتبة من النضج قد تنتهي عندها وتتلاشى وتنقرض كما انقرضت بعض الفصائل الحيوانية[٣].

**ثانياً- توصيف الدراسات الأكاديمية ونقدها:**

ومن الدراسات الأكاديمية الجزائرية الأخرى التي تناولت نتاجات الأدباء بالاعتماد على المنهج التاريخي، الدراسة الموسومة بـ**(الخطاب الشعري والموقف النقدي في كتابات الشعراء العرب المعاصرين أدونيس ونزار قباني أنموذجاً)**، لحبيب بوهرور، وهي أطروحة دكتوراه، بإشراف: أ.د. الربعي بن سلامة، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري – قسنطينة –، لسنة ٢٠٠٧م، وقد جاءت الأطروحة في مقدمة وبابين وخاتمة، وقد جاء الباب الأول تحت عنوان **(الشعر العربي المعاصر بين التشكيل والرؤيا)** وشمل مدخلاً تحدث فيه عن مفهوم الشعر العربي المعاصر وعلاقته بالتراث، وتحدث في الفصل الأول الموسوم بـ**(آليات تشكيل البديل والمتغير في الشعر العربي المعاصر)** عن الشعر الحر وأنواع الإيقاع، والقافية، والتشكيل الإيقاعي ووسائل إثرائه، وتناول في الفصل الثاني الذي جاء تحت عنوان **(قصيدة النثر)** الحديث عن الروافد الغربية لقصيدة النثر عند الشعراء الفرنسيين الرواد، وعن الجذور العربية لقصيدة النثر بين التقليد والإبداع والتساؤل، وعن مشروع مجلة شعر، والتأسيس للرؤيا والشفوية، وأما الفصل الثالث الموسوم بـ**(ملمح الحداثة الغربية وتشكيل الموقف الإبداعي والنقدي العربي الحديث)** فقد تطرق للحديث عن الحداثة الغربية والحداثة العربية، وبدايات تشكيل الموقف النقدي.

---

(١) ينظر: مناهج النقد الأدبي، يوسف وغليسي: ١٦.

(٢) دليل النظرية النقدية المعاصرة، بسام قطوس: ٤٦.

(٣) ينظر: مناهج النقد الأدبي، يوسف وغليسي: ١٦ – ١٧.

وأما في الباب الثاني الذي جاء تحت عنوان (**الموقف النقدي عند الشاعر العربي المعاصر**) فقد اشتمل على مدخل وثلاثة فصول، وتناول الباحث في المدخل الحديث عن مبررات التنظير النقدي عند الشاعر العربي المعاصر، وأما الفصل الأول الموسوم بـ(**مفهوم الشعر عند الشعراء العرب الرواد**)؛ فقد تحدث فيه عن جدلية التراث والتحديث (قراءة في نظرية الثابت والمتغير)، وعن ماهية الشعر في ظل الأفق الحداثي الراهن، والموقف من الشكل الحديث، ومتطلبات القصيدة المعاصرة، وأما في الفصل الثاني فقد تحدث فيه عن الأنموذج الأول من الشعراء في أطروحته وهو أدونيس، وحمل هذا الفصل عنوان (**المتشاكل والمختلف في الموقف النقدي عند أدونيس**)، وأما الفصل الثالث فقد تحدث فيه عن الأنموذج الثاني لأطروحته وهو نزار قباني وحمل عنوان (**الموقف النقدي والحداثة الشعرية المضادة عند نزار قباني**) وهو ما يهم دراستنا، وأما الخاتمة فقد شملت أبرز النتائج التي توصلت لها الدراسة، وخلال دراستنا وجدنا أن هناك دراستين جزائريتين تتشابهان مع هذه الأطروحة وسنتناول الحديث عنهما لاحقاً[*]، وفي ضوء قراءتنا لهذه الدراسة نجد أن الباحث يشير في المقدمة إلى تناوله للمنهج التاريخي، واعتماده على مفاهيم أخرى من مناهج متعددة، وليس

---

[*] الأولى: الحداثة والموقف النقدي عند نزار قباني – الشعر السياسي أنموذجاً–، سمية بيدي، رسالة ماجستير، بإشراف: د. محمد بوسعيد، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، لسنة ٢٠١٥م، والثانية: الحداثة الشعرية العربية المعاصرة بين الشعراء والنقاد، رفيقة بركات، بإشراف: أ.د عبد الرحمن بن بطو، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف المسيلة، لسنة ٢٠١٥م.

وقد جاءت في فصلين سبقوا بمقدمة وتمهيد واتبعوا بخاتمة، واعتمدت المنهج الوصفي التحليلي أيضاً، أما عنوان (مفاهيم عن الحداثة)، و(تجليات الحداثة في الشعر والنقد)، فمثلا فصلي الدراسة النظرية، وأما الفصل المعنون بـ(نزار قباني وأدونيس (دراسة تطبيقية)) فمثل الميدان التطبيقي للدراسة، والملاحظ تداخل عنوان هذه الرسالة مع دراسة الباحث حبيب بوهرور، فضلا عن عناوين مباحث أخرى ولا سيما (نزار قباني، الإنسان والشاعر والناقد)، (الثورة على النظام الهرمي والسلطوي داخل المجتمع العربي)، إذ نجد في دراسة حبيب أيضاً عنوان مشابه له (الثورة على النظام الهرمي والسلطوي داخل بنية المجتمع العربي)، وإن كنا نلمس اختلافاً في ماهية الموضوع إلا أن المضمون يدور حول المرأة، فضلاً عن أننا نجد الباحثة قد اقتبست نصوصا لحبيب بوهرور في دراسته دون أن تشير لدراسته، وهذه هنات تخل بعلمية الرسالة وتوقعها في دائرة الاستلال.

من منهج محدد، كالوصف، والتحليل، وهذا التداخل في آليات المناهج يعد هنة من الهنات التي وقع فيها الباحث.

وتحدث الباحث في الفصل الخاص بنزار قباني عن (الإنسان والشاعر و"الناقد")، فذكر تاريخ ولادته، وعرف بعائلته، ثم انتقل للحديث عن تحصيله العلمي، والحديث عن تجربته الشعرية في مراحل حياته المختلفة التي كان لها ارتباط مع عمله الدبلوماسي قبل الاستقالة منه، فاختلفت تجربته طويلة.

وفي حديث الباحث عن التجربة الشعرية لنزار في مراحلها المختلفة باختلاف الحضارات التي زارها خلال عمله الدبلوماسي نجد في حديثه ارتباط بالمنهج التاريخي المعتمد في أطروحته، ومن نظرياته الاعتماد على سيرة الشاعر وحياته الشخصية في قراءة النصوص، فنجد الباحث هنا قد وفق في ذلك.

ويدرس الباحث في هذا الفصل أيضاً موقفين من المواقف التي تضمنها شعر نزار وهي : الموقف من الدين، والموقف من السياسة، وفي موقف نزار من الدين يتناول الباحث الحديث عن قول نزار[١]:

**عـــز الـــورودُ وطـال فـيـك أوامُ أرقـــتُ وحـــدي والأنـــامُ نيـــــامُ**

فيبين أن "في سنة ١٩٩٧م أي سنة قبل وفاة نزار قباني، زار هذا الأخير المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة لأداء مناسك العمرة وزيارة قبر الرسول (ص). وقد جاشت قريحته وهو أمام قبر سيد الخلق بقصيدة عصماء في مدح الرسول الكريم، أظهرت أن الموقف من الدين عند نزار قباني ليس موقفاً معادياً كما ظن الكثير من النقاد عبر مسار خمسين سنة، وإنما عكس قدرة الشاعر على الفصل بين مستويات الإيمان كشخص، ومستويات التشكيل الجمالي والنقدي كمبدع وكشاعر، ومن جهة أخرى عكست هذه القصيدة وهي الأخيرة في حياته عودة الشاعر إلى الكتابة على نمط القصيدة العمودية"[٢].

وفي ضوء ما تقدم فإننا نؤيد الباحث فيما ذهب إليه باعتماد مبدأ من مبادئ النقد التاريخي بمنطلقاته ولا سيما التركيز على اللحظة الزمنية أو (العصر) عند هيبوليت تين، وربطه بالنص الشعري وكذلك عودة الشاعر في هذه المرحلة من حياته على نمط القصيدة العمودية التقليدية.

---

(١) "في مدح سيد الخلق محمد ص"، نزار قباني: www.alhaila.net، وهي قصيدة غير مدرجة في أعماله الشعرية الصادرة لأنه كتبها قبل سنة وفاته ولذا اعتمدها الباحث من الشبكة الدولية.

(٢) الخطاب الشعري والموقف النقدي في كتابات الشعراء العرب المعاصرين أدونيس ونزار قباني أنموذجاً: ٤٨٤ – ٤٨٥.

ويبين الباحث أيضاً من خلال حديثه عن الموقف من الدين بأنه "لم يكن نزار قباني ضد الدين، وإنما كان ضد الممارسات والسلوكات التي تصدر عن الأفراد خاصة الفاعلين منهم داخل بنية المجتمع باسم الدين وانطلاقاً من التعاليم الدينية، والدليل على ذلك أن نزاراً وعبر كتاباته النثرية وتصريحاته وحواراته الصحفية الكثيرة، لم أعثر له -في حدود اطلاعي- على موقف معاد للدين، أو لأحكامه وشرائعه، سواء بالنسبة للدين الإسلامي أو المسيحي. وإنما انتقد وثار نزار على من يتاجر باسم الدين ويحترف صناعة الأدعية ويمارس الطقوس الشافية باسمه"(١)، ثم يستدل بما قاله نزار في قصيدة (اليوميات) التي لم يشر لعنوانها(٢):

أقمنا نصف دنيانا على حكم وأمثال

**وشيدنا مزارات .. لألف .. وألف دجال ..**

**وكالببغاء .. رددنا مواعظ ألف محتال ..**

**قصدنا شيخ حارتنا، ليرزقنا بأطفال**

...

**وعند الباب، طالبنا**

**بدفع ثلاث ليرات لصنع حجابه البالي ..**

**وعدنا مثلما جئنا**

**بلا ولد .. ولا مال**

وهنا نؤيد الباحث ونتفق معه في أن موقف نزار قباني لم يكن معادياً للدين ضمن هذه النصوص المختارة، وفيه يتجلى لنا أثر الثقافة؛ إذ إن الموقف من الدين يندرج ضمن عنصر الثقافة الذي أكده علماء النقد التاريخي ومنظروه.

أما الموقف من السياسة الذي يندرج ضمن مسلمات عنصر البيئة في النقد التاريخي ولا سيما البيئة السياسية فنرصد للباحث قوله: "تعامل نزار قباني منذ الخمسينيات مع الحدث السياسي في العالم العربي فكتب "خبز وحشيش وقمر عام ١٩٥٤م" وقصيدة "راشيل شوارزنبرغ عام ١٩٥٥م" و"رسالة جندي من جبهة السويس عام ١٩٥٦م"، فكانت هذه القصائد بمثابة التكوين لشاعر سجل مواقفه السياسية شعراً عن كل حدث قومي وسياسي"(٣).

---

(١) الخطاب الشعري والموقف النقدي في كتابات الشعراء العرب المعاصرين أدونيس ونزار قباني أنموذجاً: ٤٨٣.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ١ / ٦٢٩.

(٣) الخطاب الشعري والموقف النقدي في كتابات الشعراء العرب المعاصرين أدونيس ونزار قباني أنموذجاً: ٤٨٥.

فكما يتضح لنا أن الباحث يربط الشعر السياسي لنزار قباني بفترة الخمسينيات حصراً، وهنا لدينا توجيه، فالشعر السياسي لنزار ظهرت أولى بوادره في فترة الأربعينيات أي من تاريخ صدور ديوانه الأول (قالت لي السمراء) الذي صدر عام (١٩٤٤م)، ودليل ذلك أن "نزار قباني كتب عن الوطن ... منذ أول ديوان له. ولكنه لم يقرأ جيداً من جهة، ومن جهة ثانية لعدم اعتراف النقد ذي المواقف النضالية المرتجلة بأن هناك شعراً وطنياً لا يتصل بالمظاهرات والضجيج القومي والأممي، مما كان سائداً في الأربعينيات والخمسينيات والستينيات لم يعترف حتى المتلقي المؤدلج بأن نزاراً كان يحب وطنه ومدينته حباً مجنوناً ويكتب عن ذلك من وجهة نظره الحرة"[١]، فنزار قباني في ديوانه (قالت لي السمراء) ذكر الوطن في أكثر من قصيدة منها: قصيدة (ورقة إلى القارئ) وقصيدة (اسمها)[٢]، وليس بالضرورة أن يكرس هذا الديوان للشعر الثوري ليعد كلامه سياسياً.

ثم يتحدث الباحث عن الانتفاضة الفلسطينية التي تعد حدثاً تاريخياً وجزء من مسلمات النقد التاريخي، ويكشف من خلالها عن موقف نزار، إذ يقول: "رصد نزار أحداث الانتفاضة الفلسطينية الأولى، فسجل موقفه منها خلال قصيدته الشهيرة (أطفال الحجارة)، وفيها رفض منطق الهزيمة الذي ظل يسيطر على الذهنية العربية الحزيرانية، وفرضت الانتفاضة نفسها كغضب يومي داخل الأراضي المحتلة، وأصبح الطفل الفلسطيني بكل ما يحمل من علامات الطفولة والبراءة ... رمزاً للتغيير والثورة على الوضع الذي عجز عنه الآباء، ففي قصيدة (الغاضبون) يتحول هذا الطفل إلى عبوة ناسفة تنفجر في أية لحظة في وجه جنود الاحتلال"[٣]، ثم يذكر الباحث أن نزاراً "انبهر ... بحدث الانتفاضة الذي ساهم كثيراً في إثراء خطابه الشعري الغاضب وإبراز موقفه السياسي وعرضه أمام الجمهور، ووجد في طفل الانتفاضة ذلك المخلص الذي طالما بحث عنه بعد النكسة، وتحول الصبي "الغزاوي" إلى "غودو" المنتظر في الأرض الفلسطينية الحبلى بالأحداث والنكبات والأحزان، فيثير التساؤل ويؤسس للحدث"[٤].

---

(١) بعض المختلف في شعر نزار قباني، محمد علاء الدين عبد المولى، مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي، www.ssrcaw.org.

(٢) ينظر: نزار قباني شاعر المرأة والسياسة، نبيل خالد أبو علي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م: ٩٩.

(٣) الخطاب الشعري والموقف النقدي في كتابات الشعراء العرب المعاصرين أدونيس ونزار قباني أنموذجاً: ٤٨٨.

(٤) المصدر نفسه: ٤٨٨.

وذلك في قول نزار[١]:

**يسأل عنه ملوك الإنس**

**ويسأل عنه ملوك الجان**

**من هو هذا الولد الطالع مثل الخوخ الأحمر من شجر النسيان**

**من هو هذا الولد الطافش من صور الأجداد**

...

**من هو هذا الآتي ..**

**من أوجاع الشمس ومن كتب الرهبان**

**من هو هذا الولد الزارع ...**

**قمع الثورة .. في كل مكان؟**

فالحدث التاريخي هنا شكل نقطة تحول في حياة نزار وأثر على شعره، والباحث كشف عن تمرد نزار على تخاذل العرب وعدم مبالاتهم اتجاه قضية أرض وطنية، فكان أمله بالجيل القادم من أطفال غزة الثوار، في الدفاع عن بلادهم، والوقوف بوجه الاحتلال، وهذه سمة حسنة في دراسة الباحث يتجلى من خلالها منهجه التاريخي المعتمد في الدراسة.

ثم يبين الباحث بعد ذلك موقف نزار قباني الرافض للتطبيع الثقافي، إذ يذكر "وأما موقفه من التطبيع الثقافي الذي يعد أحد شروط التطبيع السياسي، فقد رفضه نزار قباني بقوة، لأنه يعتقد أن كل تطبيع مع الدولة العبرية هو بمثابة استقالة الشعر العربي من كبريائه"[٢]، واعتمد الباحث في موقفه على قصيدة نزار (المتنبي، وأم كلثوم على قائمة التطبيع ) التي يقول فيها[٣]:

**وصل قطار التطبيع إلى مقاهينا**

**وصالوناتنا .. وغرف نومنا المكيفة بالهواء ..**

**ونزل منه أشخاص غامضون يحملون معهم معاجم .. ودواوين شعر ..**

---

(١) من قصيدة دكتوراه شرف في كيمياء الحجارة، نزار قباني، www.nizariat.com، التي لم تصدر ضمن دواوينه المنشورة.

(٢) الخطاب الشعري والموقف النقدي في كتابات الشعراء العرب المعاصرين أدونيس ونزار قباني أنموذجاً: ٤٨٩، وهو ما أخذته واستشهدت به سمية بيدي في دراستها اللاحقة دون الإشارة إلى مصدر هذه الدراسة التي سيرد ذكرها لاحقاً.

(٣) أسرار القصائد الممنوعة لشاعر الحب والحرية نزار قباني، محمد رضوان، دار الكتاب العربي، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤م: ٧٣.

**ويحملون معهم جرائد تقول**

**إن شاعر العرب الأكبر أبا الطيب المتنبي**

**صار وزيراً للثقافة في حكومة حزب العمل !!**

فالباحث هنا اعتمد هذه القصيدة للحكم على موقف نزار قباني من قضية تاريخية معاصرة وهي قضية التطبيع، إن نزار قباني أوقف معظم شعره القومي منذ نكسة يونيو (حزيران) عام ١٩٦٧م ضد الوجود الصهيوني الاستيطاني، ورفض كل أشكال التطبيع والمسالمة مع ذلك الكيان، وكانت أكثر قصائده تعبيراً عن هذا الرفض المفعم بالمرارة والأسى قصيدته (المتنبي وأم كلثوم على قائمة التطبيع)[١]، وفي ضوء ما تقدم ذكره نتفق مع ما أورده الباحث (حبيب بوهرور) عن موقف نزار قباني ورفضه لتطبيع الثقافة العربية، ويعكس في الوقت نفسه جزءاً من الجانب التاريخي لشخصية الشاعر، وهذه إحدى المبادئ التي اعتمدها سانت بيف في دراسته للنصوص الأدبية، فالباحث التزم بالمنهج التاريخي ومبادئه وطبقها على أشعار نزار قباني.

ويتحدث الباحث حبيب بوهرور عن موقف نزار قباني الرافض لسلطة الحاكم، إذ يقول: "رفض نزار قباني سلطة الحاكم العربي، واعتبرها سلطة غير شرعيه، فقد فرض نفسه على الحاكم من خلال الموقف المتضمن في أشعاره، ويعتبر ذلك نوعاً من اقتسام السلطة من المنظور الفكري، وهنا تكمن نقطة القوة عند نزار، ونقطة الاختلاف عن سائر الشعراء الذين رفضوا هذا المسار"[٢].

فهنا قد وفق الباحث فيما توصل له، إذ إن السياسة تتمظهر عند من يمارسها ولا سيما الحاكم، وهو بذلك يرفض دكتاتورية الحاكم وسلطته الغاشمة.

ومن النتائج التي توصل لها البحث واتفقنا معه بها، ما جاء في قوله "يعتبر نزار قباني من منطلق الحداثة المضادة أول شاعر حداثي، لأنه سبق رواد الشعر الحر في الأربعينيات في خلق أرضية شعرية جديدة، لا تؤمن بالجاهز والنمط"[٣]، فضلاً عن تأييدنا لقوله في موقف نزار من الدين بأنه لم يكن معادياً له في مواضع كثيرة "وإنما كان ضد الممارسات والسلوكيات التي تصدر عن مؤسسات وأفراد لهم علاقة بالسلطة الدينية"[٤].

---

(١) ينظر: أسرار القصائد الممنوعة لشاعر الحب والحرية نزار قباني: ٧٣.

(٢) الخطاب الشعري والموقف النقدي في كتابات الشعراء العرب المعاصرين أدونيس ونزار قباني أنموذجاً: ٤٨٩.

(٣) المصدر نفسه: ٥٠٠.

(٤) المصدر نفسه: ٥٠٠.

وقد اشتركت مع هذه الدراسة رسالة الماجستير الموسومة (**الحداثة والموقف النقدي عند نزار قباني – الشعر السياسي أنموذجاً–**)، فكانت مواقف هذه الرسالة متوافقة مع رسالة حبيب بوهرور، ولا سيما في موقف نزار من التطبيع الثقافي وموقفه من نظام السلطة والحكام، وقد اخذت هذه الدراسة من كلام الباحث حبيب بوهرور من دون الإشارة لأخذها من دراسته !!

وقد جاءت الرسالة في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وفي المقدمة، أشارت الباحثة سمية بيدي إلى أن المنهج المعتمد في دراستها هو المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي(*).

وتحدثت الباحثة في الفصل الأول الذي جاء بعنوان (**الحداثة: النشأة والمفهوم**) عن موضوعين، الأول: الحداثة عند الغرب، والثاني: الحداثة عند العرب، والحداثة في الشعر العربي القديم والحديث.

وأما الفصل الثاني الذي حمل عنوان (**الحداثة النزارية وملامحها**)؛ فقد شمل موضوعين أيضاً وهما: تعريف بالحداثة النزارية، وملامح الحداثة النزارية التي تمثلت بالآتي: الثورة على نظام الهرمي السلطوي داخل بنية المجتمع العربي، ومراجعة الموروث الخامل وتفعيله، واللغة الشعرية وأثرها، ورفض الغموض، وطبيعة الشكل الشعري، والفضاء المفتوح، والألوان.

وما سنتناول الحديث عنه هو الفصل الثالث لصلته بعينة دراستنا المتمثلة بشعر نزار، والمعنون بـ (**الموقف النقدي وتجليات الحداثة في الشعر السياسي**)؛ إذ تناولت فيه الباحثة الحديث عن موضوعين الأول هو: (الموقف النقدي في شعر نزار السياسي)، وتمثل بخمسة مواقف وهي: (الموقف من التراث) و(الموقف من نظام السلطة الحاكمة وحكام العرب) و(الموقف من التطبيع الثقافي) و(الموقف من اللغة) و(الموقف من الغموض)، وأما الموضوع الثاني فهو: (تجليات الحداثة في شعر نزار السياسي) وتجلى في أربعة مظاهر وهي: اللغة الشعرية، والرمز، والأسطورة، والشكل الشعري.

---

(*) ومن الدراسات الأكاديمية الجزائرية التي اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي ايضاً رسالة الماجستير الموسومة بـ(السيرة الذاتية في شعر نزار قباني)، للباحثة شايب الراس زبيدة، وبإشراف: أ.د عباس بن يحي، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، في جامعة المسيلة، لسنة ٢٠١٢م، وقد جاءت في مقدمة، ومدخل، وفصلين، وخاتمة، وفي المدخل تحدثت الباحثة عن مفهوم السيرة الذاتية والتعريف بها في الأدب القديم والمعاصر، وجاء الفصل الأول بعنوان (تجليات السيرة الذاتية في قصيدة بلقيس)، والثاني بعنوان (الخصائص الفنية في شعر نزار قباني)؛ وكانت معالجتها تاريخية، ولم تأت الرسالة بجديد ولمسنا فيها ضعفاً وأخطاء منهجية.

وتتحدث الباحثة في الفصل الثالث عن موقف نزار قباني من التراث في شعره السياسي، وتبين أن قصيدة (الوصية) "تجسد بشكل كبير موقف نزار من الأدب الأرثي[*] فهو يرفضه وينقده نقداً شديداً"[١]، وذلك من خلال استشهادها بقول نزار قباني[٢]:

**أبحث عن معرفة تنفعني**
**أبحث عن كتابة تخص هذا العصر .. أو تخصني**
**فلا أرى حولي سوى رمل .. وجاهلية**
**أرفض ميراث أبي .**
**وأرفض الثوب الذي ألبسني**
**وأرفض العلم الذي علمني**

وعن قوله أيضاً في قصيدة (إفادة في محكمة الشعر)[٣]:

**شعرنا اليوم هجمة واكتشـــاف**
**لا خطوط كوفيـة .. وحـداء ..**
**كل شعر معاصر .. ليس فيه**
**غضب العصر ، نمـلـة عرجاء**
**ما هو الشعر؟ إن غـدا بهلـواناً**
**يتسـلـى برقصه الخـلفـــــــاء**
**ما هو الشعر؟ حين يصبح فـأراً**
**كسرة الخبز .. همه .. والغذاء**

تضيف الباحثة بأن نزاراً في هذه القصيدة يدعو إلى "ضرورة إلزام الشعر المعاصر بقضايا العصر، وهذا هو الشعر في نظره، وكل شعر يكون فيه تقليد ومحاكاة للماضي يرفضه ولا يعده شيئاً"[٤]، فهو يرفض التراث الخامل ويدعو إلى تفعيله، فالباحثة تؤكد رأي نزار بضرورة مواكبة الشعر/ القصيدة لروح العصر ومتطلباته، وذلك من أساسيات المنهج التاريخي الذي التزمت به، وهذا ما يمثل نظرية سانت بيف الذي ربط بين النص والمحيط، و رأى أن الإنتاج

---

[*]الأدب الأرثي: وصف أطلقته الباحثة على الشعر الموروث ولا يقصد به مصطلحاً اجتراحياً منها.

(١) الحداثة والموقف النقدي عند نزار قباني – الشعر السياسي أنموذجاً-: ٦٠.
(٢) الأعمال السياسية الكاملة: ٣ / ٢٥١ – ٢٥٢.
(٣) الحداثة والموقف النقدي عند نزار قباني – الشعر السياسي أنموذجاً-: ٣ / ٤٠١.
(٤) المصدر نفسه: ٦١.

الأدبي يمثل شخصية منتجه، وانعكست نظريته أيضاً في حديثها عن موقف نزار من اللغة العصماء، ودعوته إلى تجديدها وموقفه الرافض للغموض.

وفي حديثها عن الموقف الثاني لنزار وهو (الموقف من نظام السلطة والحكام العرب)؛ تذكر بأن "أول قصيدة سياسية لنزار قصيدة (خبز وحشيش وقمر) ١٩٥٤ وهي بمثابة نقد لاذع للمجتمع العربي"(١).

وهنا نعارض الباحثة فليست هذه القصيدة هي الأولى بل قصيدة (قصة راشيل شوارزنبرغ) إذ يرى نبيل خالد أنها "أول دليل على وجود الحس القومي لدى نزار قباني، وهي تمثل المرة الأولى التي يحاول أن يتنفس فيها ذلك الحس ليثبت أنه موجود فعلاً ويترقب الفرصة للخروج إلى حيز الوجود"(٢)، في حين كانت قصيدة (خبز وحشيش وقمر) "امتداداً لمعركة نزار مع المجتمع العربي، معركة الانتقام من المجتمع المسئول عن مقتل أخته، التي يعد موتها استجابة لبعض القيم والمعتقدات التي يؤمن بها ذلك المجتمع"(٣)، وعلى الرغم من اختلافنا في الرأي مع الباحثة حول أول قصيدة لنزار قباني، إلا أننا نجد في كلامها تمظهراً للمنهج التاريخي المعتمد، إذ تتحدث عن بداية لمرحلة جديدة من التاريخ الشعري لنزار قباني.

وفي حديثها عن الموقف الثالث لنزار وهو (الموقف من التطبيع الثقافي) نجدها تعلق على قصيدته (المتنبي، وأم كلثوم على قائمة التطبيع) التي استشهد بها قبلها حبيب فتقول الباحثة: إن نزاراً "في هذه القصيدة يرفض كل ألوان التطبيع الثقافي مع الدولة العبرية، وهذا الموقف له ما يبرره فهو يرى في ذلك التطبيع كل ما هو سلبي، لأنه سيقيل الشعر العربي ويسقطه عن كبريائه، ويرى أنه يشكل أكبر على خطر مستقبل الشعر العربي"(٤).

فهنا نجد أن الباحثة تعتمد موقف حبيب بوهرور نفسه في إشارتهما لموقف نزار من التطبيع الثقافي ورفضه له، ويعكس في الوقت نفسه جزءاً من الجانب التاريخي لشخصية الشاعر، وهذا من المبادئ التي اعتمدها سانت بيف في النقد التاريخي.

وأما الموضوع الثاني من هذا الفصل وهو **(تجليات الحداثة في شعر نزار قباني)** والمتمثل في: اللغة الشعرية والرمز والأسطورة والشكل الشعري، فقد كان حديث الباحثة عن هذه التجليات في شعر نزار قباني أقرب للمنهج الوصفي التحليلي منه إلى المنهج التاريخي، ومثال

---

(١) الحداثة والموقف النقدي عند نزار قباني – الشعر السياسي أنموذجاً-: ٦٢.

(٢) نزار قباني شاعر المرأة والسياسة، نبيل خالد أبو علي: ١٢٩.

(٣) المصدر نفسه: ١٢٩.

(٤) الحداثة والموقف النقدي عند نزار قباني – الشعر السياسي أنموذجاً: ٦٩.

ذلك حديثها عن اللغة الشعرية والشكل الشعري وهذا ما تناول الحديث عنه أيضاً حبيب بوهرور في أطروحته التي درسناها في الصفحات السابقة ولم تخرج الباحثة عنه.

وأما عن الأسطورة فتشير الباحثة إلى توظيف نزار قباني لهذه التقنية الحديثة في قصيدتي (يا ست الدنيا يا بيروت) و(قراءة على أضرحة المجاذيب)، أذ وظف أسطورة عشتار في القصيدة الأولى (يا ست الدنيا يا بيروت) واشارت الباحثة إلى أن الشاعر في هذه القصيدة ربط بين مرجعية الأسطورة أو موضوعها وبين حدث تاريخي وهو حرب بيروت الأهلية، إذ تقول: إن نزاراً "يضمن قصيدته أسطورة "عشتار" آلهة الحب والجمال لربط بين تعلق البابليين بهذه الآلهة، ومن بين تعلق الشعراء ببيروت التي تشكل مصدر إلهامهم ومنبع شاعريتهم، أملاً في انبعاث بيروت من تحت حطام الحرب الأهلية"(١)، وذلك في قول نزار(٢):

**قومي من تحت الموج الأزرق، يا عشتار**

**قومي كقصيدة ورد ..**

**أو قومي كقصيدة نار**

**لا يوجد قبلك شيء .. بعدك شيء .. مثلك شيء ..**

**أنت خلاصات الأعمار ..**

**يا حقل اللؤلؤ ..**

**يا ميناء العشق ..**

**ويا طاووس الماء ..**

وهنا نجد أن الباحثة قد وفقت في ربطها بين توظيف نزار للأسطورة وبين حدث تاريخي معاصر له وهو حرب بيروت الأهلية، ونجد أن الباحثة ركزت على جانب واحد من جوانب دلالة الأسطورة وهو جانب الحب دون ذكر دلالات رمز عشتار الأخرى(*)، وهنا يتمظهر لنا منهجها التاريخي المعتمد في دراسة النصوص من خلال ربط النص بالسياق الخارجي بما فيه من أحداث.

وأما الخاتمة التي تضمنت أبرز نتائج الدراسة، وقد طبقت الباحثة ما تعهدت به في المقدمة، في الكشف عن مفهوم الحداثة ونؤيد ما ذهبت إليه في أن شعراء الحداثة في الشعر العربي المعاصر يقفون منها موقفين: انقطاع عن التراث، أو تفعيل للتراث ومسائلته، وكذلك نؤيد ما توصلت له في أن الحداثة النزارية الشعرية تميزت باتخاذها موضوع المرأة والسياسة

---

(١) الحداثة والموقف النقدي عند نزار قباني – الشعر السياسي أنموذجاً: ٨٦.

(٢) الأعمال السياسية الكاملة: ٣ / ٥٨١.

(*) فهي ربة الخصب والأمومة والرغبة والحرب. ينظر: معجم الأساطير، ماكس شابيرو، ورودا هندريكس، تر: حنا عبود، دار علاء الدين، سورية– دمشق، ط٣، ٢٠٠٨م: ١٣٥.

موضوعاً بنظرة حديثة، فضلاً عن رفضها للجزء الخامل من التراث، وتميزها بلغة شعرية ثالثة بعيدة عن الغموض، وتوظيفها للرمز والأسطورة، واعتمادها على قصيدة التفعيلة والنثر، فضلاً عن تأييدنا لما وصلت له من مواقف نزار في شعره السياسي المتمثلة بالموقف من التراث والسياسة والتطبيع الثقافي، وهي بمجملها تمثل الأفكار نفسها التي طرحها الباحث حبيب بوهرور في دراسته السابقة.

وفي ضوء ما سبق كشفت لنا الدراسة عن عدد من الهنات وعن الكثير من الحسنات، فمن الهنات التي أشرنا لها اخذها لنصوص من أطروحة حبيب بوهرور دون الإشارة لها، وتوافق عناوين الموضوعات فيها مع أطروحة حبيب بوهرور، علماً أن أطروحة حبيب قد سبقت رسالة الباحثة فكانت مناقشتها في سنة ٢٠٠٧م ومناقشة هذه الرسالة في ٢٠١٥م، ومن الحسنات اعتمادها على نصوص الشاعر للكشف عن جوانب مختلفة من شخصية نزار، وعرض مبادئه وأفكاره، وهنا تتمظهر نظرية تاريخية اعتمدها سانت بيف في المنهج التاريخي، فضلاً عن الربط بين النص الشعري والحدث التاريخي وهي النظرية التي اعتمدها هيبوليت تين، وقد أشرنا إلى مواضع وفقت الباحثة فيها خلال معالجتها للنصوص، وبينا كذلك مواضع اختلافنا معها داعمين ردنا بالاستدلال العلمي.

ومن الرسائل الأكاديمية الجزائرية أيضاً رسالة الماجستير الموسومة بـ**(نزار قباني شاعر المرأة والوطن)** للباحث هشام شريف، وبإشراف د. دليلة زغودي، في جامعة أبي بكر بلقايد، قسم اللغة والأدب العربي، لسنة ٢٠١٦م، فقد جاءت الدراسة في: فصلين سبقوا بمقدمة ومدخل، واتبعوا بخاتمة، وفي المقدمة بين الباحث اعتماده على المنهج التاريخي والمنهج التحليلي.

وفي المدخل تناول الباحث حياة الشاعر نزار قباني وشاعريته، عرض فيه حياة الشاعر من خلال عدد المواقف التي مر بها نزار في حياته.

وجاء الفصل الأول من الرسالة الموسوم بـ**(المرأة في شعر نزار قباني)** في مبحثين، أما المبحث الأول فحمل عنوان **(صورة المرأة الجسدية)**، وأما الثاني فكان بعنوان **(صورة المرأة في شعر نزار قباني)**، ولا نفهم لمَا لم يسمِ المبحث الثاني بصورة المرأة المعنوية أو الفكرية أو الرمزية؟!

وقد استهل الباحث المبحث الأول بالحديث عن شعر المرأة عند نزار قباني وبين أنه مر بمرحلتين من دون تحديد منه لهاتين المرحلتين بسقف زمني أو تاريخي!!، مستدلاً بذلك على ما قاله جبرا إبراهيم جبرا: "قد اتفق الكثير من النقاد على اعتبار أن شعر المرأة عند نزار مر

بمرحلتين الأولى والثانية"[١]، فلم يبين الباحث أو يوضح هاتين المرحلتين، في حين نجد أحمد غيمي ومحمود الشوش حددا هاتين المرحلتين انطلاقاً من الفترة الزمنية والحدث تاريخي وهو نكسة حزيران، بالقول أن "الحديث عن المرأة عند نزار قباني ... إلى مرحلتين قبل النكسة لعام ١٩٦٧م، وما بعد هذا التاريخ"[٢]، وهذا ما لم يوضحه الباحث!!

وفي هذا المبحث تحدث الباحث عن شعر المرأة عند نزار قباني في بداياته الشعرية الذي دار حول دائرة وصف الجسد ولوازم المرأة باعتماده على جملة من الرؤى النقدية لنقاد عرب تحدثوا عن هذه المرحلة في تجربة نزار قباني الشعرية، وربطها بظاهرة الفيتشية[*] النفسية.

ونجد أن الباحث يعرض جانباً من شخصية نزار قباني من خلال شعر المرأة، فيقدمه على أنه شاعر يغلب على شعره العنصر البرجوازي مستدلاً برأي محيي الدين صبحي، إذ يقول: إن "العنصر البرجوازي سيطر على مادته وصوره، فقد كان يجمع مواده الفنية وعناصر تلك المواد وموضوعاتها من مظاهر وحياة المجتمع البرجوازي"[٣]، ونجد أن هذا الكلام يعود بنا إلى ما مر من أحداث تاريخية في حياة نزار تؤكد برجوازيته ومنها :"مدرسته والكلية العلمية الوطنية، التي لا تتاح إلا لأولاد البرجوازية الدمشقية، ومدرسة التجهيز، وعمله في السلك الدبلوماسي وغيرها مما يصلح أن يكون مؤشرات صدق على الواقع الاجتماعي المعيشي لنزار قباني، مما يسوغ اتهام المتهمين بأنه ينتمي إلى الطبقة المترفة"[٤]، ثم يضيف الباحث رداً على برجوازية نزار في أعماله بالقول: "ولكن يبقى نزار شاعراً واقعياً، إذ لم يحاول أن يرضي النقاد، ويخرج من جلده ليؤكد واقعيته، حتى قصائده الغزلية والنسائية تظل تحافظ على هذا الخط الإنساني

---

(١) النادر والجوهر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٣، ١٩٨٢م: ١٢١، نقلاً عن نزار قباني شاعر المرأة والوطن: ١٨.

(٢) المرأة في شعر نزار قباني، مجلة Journal of nstitute of Social Sciences Bitlis Eren University، إيران، مج ٧، ع ١، لسنة ٢٠١٨م: ٣٠٩.

(*) الفيتيشية هي "نوع من الانحراف ... يستبدل بالموضوع السوي موضوعاً آخراً متصلاً به وإن كان غير ملائم ... وعادة ما يكون الموضوع ... البديل والأثير لدى الفيشي جزءاً من الجسم كالشعر أو الأقدام أو موضوعاً بعينه على صلة بالموضوع المحبوب وجنسه من قبيل أجزاء من الملابس": معجم علم النفس والتحليل النفسي، فرج عبد القادر طه، وشاكر عطية قنديل، ومحمود السيد أبو النيل، وحسين عبد القادر محمد، ومصطفى كامل عبد الفتاح، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، (د.ت): ٣٥٧.

(٣) نزار قباني شاعر المرأة والوطن: ٣٠.

(٤) جدلية نزار قباني في النقد العربي الحديث، على أحمد العرود، على أحمد العرود، دار الكتاب الثقافي، الأردن – إربد، ط ١، ٢٠٠٧م: ٥٣.

داخلها منذ ديوانه الأول ... حتى أواخر الستينات"[١]، وهنا كان الباحث موفقاً ونؤيد ما ذهب إليه بدليل رأي رفيقة البحوري القائل بوجود "البعد الاجتماعي إلى جانب البعد الذاتي منذ ديوانه الأول (قالت لي السمراء)؛ ففيه تحضر صورة الحبيبة التي تستأثر بهواه، والتي نجدها في قصائد كـ(إندفاع)، (زيتية العين)، (حبيبة وشتاء)، (إلى مصطافة)، إلى جانب المرأة الكائن الاجتماعي المهضوم الجانب الذي يتعاطف معه، وقد أعطاها الكلمة لتدافع عن نفسها في قصيدة (البغي)"[٢].

أما في المبحث الثاني المعنون بـ**(صورة المرأة في شعر نزار قباني)** فيبين الباحث أن التطور في تجربة نزار قباني الشعرية يتجلى في المنهج التاريخي الذي اعتمده الباحث لبيان التطور فيها باستدلال علمي لسامح الرواشدة إذ يقول: "يتخذ نزار المرأة قضية، يبحث في مشاكلها فتتصاعد ثورته، فمن وصف للأشياء المرأة الصغيرة جداً على وصف لقضاياها الكبيرة حيث نقرأ (حبلى وأوعية الصديد) ومن وصف زينتها (الثوب الوردي، أحمر الشفاه، المايوه الأزرق)، إلى وصف أحزانها ومشكلاتها في قصائد مثل (أنا محرومة، امرأة من دخان، رسالة من سيدة حاقدة، الحب والبترول، ...) وهذه القصائد تدعو المرأة إلى إخراج صوتها المقموع في سراديب الكتب[*] والحرمان إلى الهواء الطلق، وإخراجها من قصور السلاطين وبيوت الحرملك إلى بيوت أكثر نور وأكثر حرية، ليرسم علاقة جديدة بين الرجل والمرأة يغلب عليها الحوار"[٣]، وهنا نتفق مع الباحث حول هذا الاستدلال من خلال ما ذكره نزار قباني عن هذه التجربة التي تجسدت في ديوانه (قصائد) الذي كتبه في لندن سنة ١٩٥٦م، وقد تحدث عن هذه التجربة قائلاً: "التجربة الإنكليزية وضعتني في إطار حضاري وإنساني كنت بأمس الحاجة إليه ... لقد منحتني لندن الطمأنينة الفكرية، وغسلت أمطارها أعشابي الشرقية العطشى، وأعطتني براريها المكشوفة واللانهائية الخضرة أول دروس الحرية. وفي مدرسة الحرية هذه، كتبت أفضل أعمالي الشعرية، وأكثرها ارتباطاً بالإنسان. وهو كتاب (قصائد)"[٤].

ونجد الباحث في قوله: " لقد احتلت المرأة في شعر نزار جوانب متعددة ولم يكن حضوراً جسدياً جنسياً فحسب، بل حاول التغلغل في عالمها وإضاءة الجوانب الإنسانية مؤكداً ضرورة

---

(١) نزار قباني شاعر المرأة والوطن: ٣٠.

(٢) المرأة ولعبة الحرف في شعر نزار قباني، دار محمد علي الحامي، صفاقس – تونس، ط١، ٢٠٠١م: ١٨.

(*) الكبت وليس كما ورد في التنصيص.

(٣) مغاني النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م : ٥٨.

(٤) الأعمال النثرية الكاملة: ٧ / ٢٨٨.

التمسك بالدفاع عنها؛ لأنها قضية واحدة لا تتجزأ فهي الأم والأخت والحبيبة والرفيقة والمناضلة التي صورها لنا"[1]، وهذا الكلام نصاً ما قالته بروين حبيب في كتابها وأخذه الباحث دون الإشارة إليه[*].

ويقدم لنا الباحث خمس صور للمرأة في شعر نزار قباني وهي (الأم، والحبيبة، والوفاء، والبساطة، والثورة، والوطن)، ونجد في حديثه عن صورة الأم أنه ينسب الكلام الذي استدل به في هذا الموضوع لبروين حبيب في حين كان الكلام لأحمد حيدروش في كتابه أنوثة المرأة وشعرية القصيدة، وكذلك نلمس هذا الأمر في حديثه عن المرأة (الوفاء، والبساطة، والثورة)، فهو لم ينسب ما ذكره من أقوال لمصدرها وهو تقنيات التعبير في شعر نزار قباني لبروين حبيب، وهذه مسألة تتعلق بالأمانة العلمية في نسبة الأقوال لأصحابها.

وفي الفصل الثاني المعنون بـ(**الوطن في شعر نزار قباني**)، نجد الباحث قد قسمه على مبحثين، أما المبحث الأول فحمل عنوان (**قضايا قومية عامة**)، وفيه تناول الحديث عن: (القضية الفلسطينية) و(القضية الجزائرية)، فخلال حديثه عنهما يبين لنا الباحث أن شعر نزار قباني عكس قضيتين تتعلقان بالأحداث السياسية في البيئة العربية وهي احتلال فلسطين، وقضية الثوار الجزائريين متمثلة بجميلة بوحيرد معتمداً في تفسير النصوص الشعرية لنزار على مصادر ودراسات علمية، فضلاً عما في سيرة نزار قباني، فعن قول نزار في قصيدة (منشورات فدائية على جدران إسرائيل) التي لم يذكر الباحث عنوانها وهذا يعد خللاً[2]:

**يا آل إسرائيل، لا يأخذكم الغرور**
**عقارب الساعة إن توقفت**
**لا بد أن تدور ..**
**إن اغتصاب الأرض لا يخيفنا**
**فالريش قد يسقط من أجنحة النسور**
**والعطش الطويل لا يخيفنا**
**فالماء يبقى دائماً في باطن الصخور**
**هزمتم الجيوش .. إلا أنكم لم تهزموا الشعور**
**قطعتم الأشجار من رؤوسها**
**وظلت الجذور ..**

---

(١) نزار قباني شاعر المرأة والوطن: ٤٨.

(*) تقنيات التعبير في شعر نزار قباني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م: ٢٣٦.

(٢) الأعمال السياسية الكاملة: ٣ / ١٧٦.

فيقول الباحث عن هذه الأبيات مستدلاً باستدلال علمي: "إن انتصارات إسرائيل لا تعكس قوتها بقدر ما تعكس ضعف العرب واستكانتهم، لقد حاول نزار أن يؤسس وفق ثوابته الوطنية والتوحيدية التي تنطلق من مواقفه العدائية للسلطات القمعية التي مارست دوراً سلبياً ضد المجتمعات العربية عامة وفلسطين خاصة موقف أكثر عدائية لإسرائيل فشرح وفضح مخططاتها، وحاول أن يزرع الأمل في الأجيال القادمة"(١).

وفي تفسيره هذا يتجلى لنا عنصر من عناصر نظرية تين وهو البيئة التي تلعب أحداثها وظروفها السياسية والاجتماعية والاقتصادية دوراً مهماً في شخصية المؤلف أو الأديب، ونصوص نزار قباني تكشف لنا التأثير الحاصل بين البيئة وبينه، فكانت أشعاره مرآة لأحداث تاريخية عاصرها الشاعر وهو ما بينه الباحث خلال تفسيره لهذه النصوص.

وأما المبحث الثاني من هذا الفصل فكان بعنوان **(قضايا وطنية خاصة)**؛ فتناول الحديث عن دمشق وبيروت وإسبانيا في شعر نزار، وفي حديثه عن دمشق يكشف الباحث عن علاقة نزار قباني معها مبيناً أنها علاقة انتماء، ويبين أنها تمثل المركز الثقافي والحضاري والوجداني عنده مستدلاً على ذلك بكلام علمي لمها خير بيك عن مركزية الانتماء الوطني في شعر نزار إذ تقول: "تمثل علاقة نزار قباني بدمشق مثلاً أعلى للانتماء الوطني، فعل(*) * الرغم مما أفرغه نزار من شحنة عاطفية في شعره، لم يتغير مسار انتماءه(*) * ولم يتلون بأي وطن أو حضارة عاش فيها، وعايشها إذ بقي مشدوداً إلى المركز العاطفي والفكري والثقافي والحضاري الذي أكسبه قيمة ووجوداً وأصالة وانتماء"(٢)، ونتفق مع الباحث هنا، إذ نجد نزار قباني يستذكر دمشق في غربته فيقول: "السفر إلى الأندلس، سفر في غابة من الدمع. وما من مرة ذهبت فيها إلى غرناطة، ونزلت في فندق (الحمراء) إلا ونامت معي دمشق على مخدتي الإندلسية. روائح الياسمين الدمشقي، وعبير الأضاليا، والنارنج، والورد البلدي، كانت تشاركني غرفتي في الفندق"(٣)، فنجد في حديثه الصورة الحضارية لدمشق، والانتماء الوجداني المتمثل في حنينه العارم لها الذي جعله يستدعي صورها في غربته، فنزار قباني ينحاز لدمشق انحيازاً

(١) نزار قباني شاعر المرأة والوطن: ٦٧ – ٦٨.

(*) فعلى وليس كما ورد في التنصيص.

(*) انتمائه وليس كما ورد في التنصيص.

(٢) نزار قباني شاعر المرأة والوطن: ٨٣.

(٣) الأعمال النثرية الكاملة: ٧ / ٢٨٩.

كلياً بوصفها حاملة لذكرياته الطفولية والشبابية، وثقافته أيضاً[١]، وهنا نتفق مع الباحث في حديثه عن علاقة نزار قباني مع دمشق.

ويتحدث الباحث بعد ذلك عن قضية وطنية أخرى تجسدت في أشعار نزار وهي قضية بيروت والحرب الأهلية التي حدثت فيها، فيبين منزلة بيروت وعلاقة الشاعر بها، ونجد أن الباحث قد وفق في الحديث عنها، وما يؤخذ عليه عدم ذكر عنوان القصيدة عند استشهاده بنصوص من قصيدة (يا ست الدنيا يا بيروت) التي يقول فيها نزار[٢]:

**يا ست الدنيا يا بيروت ...**

**من باع أساورك المشغولة بالياقوت؟**

**من صادر خاتمك السحري،**

**وقص ضفائرك الذهبية؟**

**من ذبح الفرح النائم في عينيك الخضراوين؟**

ويعلق الباحث على هذه الأبيات قائلاً: إن "قسوة الحدث على نزار تذيبه ألماً، ولكنه يتوقف عنده مازجاً العقل والمشاعر، فالحزن والحسرة تقابلهما قراءة ما وراء الحدث"[٣]، فهنا نجد الباحث قد وفق في تحليله وإن لم يصرح بمضمون الحدث وأهوال الحرب الأهلية وهي من مسلمات المنهج التاريخي.

وأما خاتمة الرسالة فقد ضمت أبزر النتائج، وقد وفق الباحث في الوصول لما تعهد به في مقدمة دراسته منها قوله: إن "شعر نزار قباني تركز في مرحلتين، مرحلة كانت المرأة محورها بوصفها جزءاً من الغيريات التي طالت الواقع العربي في رصد امتد نحو نصف قرن من امرأة لا وجود لها في المجتمع إلى المرأة تبحث عن ذاتها وتصارع ضغوطها النفسية والاجتماعية، ومرحلة أخرى كانت تدور في فلك الشعر القومي الذي عبر عنه نزار بشفافية"[٤].

وفي ضوء دراستنا لهذه الرسالة أتفقنا مع الباحث في أمور خلال دراسته وقد أشرنا لذلك، واختلفنا معه في أمور أخرى منها: توظيف النصوص دون الإشارة للمصدر في بعض الأحيان، وأخذه لنصوص من كتاب وباحثين أخرين دون الإشارة لمصادرهم أو نسبتها لأصحابهم الأصليين.

---

(١) ينظر: أنوثة المرأة وشعرية القصيدة، أحمد حيدروش، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط ١، ٢٠٠١م: ١٣٢.

(٢) الأعمال السياسية الكاملة: ٣ / ٥٧٧.

(٣) نزار قباني شاعر المرأة والوطن: ٨٥.

(٤) المصدر نفسه: ٩٣.

ومن الدراسات الأكاديمية الجزائرية الأخرى التي تناولت شعر نزار قباني فهي رسالة الماجستير الموسومة بـ**(بين المرجع والمتخيل في الشعر السياسي لنزار قباني)** للباحثتين وفاء قرين، وسامية قرين، بإشراف: سعدية بن ستيتي، كلية الآداب واللغات، في جامعة محمد بوضياف، الجزائر، لسنة ٢٠١٨م، وقد جاءت الدراسة في مقدمة وفصلين وخاتمة، وفي المقدمة تشير الباحثتان إلى اعتمادهما على أسس البنيوية في تناول بعض القضايا الفنية في الشعر السياسي لنزار بالاعتماد على التحليل والوصف، فهنا لم يتضح لنا طبيعة المنهج المتناول في الدراسة.

ويتضح لنا من عناوين الفصل الأول (بين المرجع والمتخيل)، والثاني الذي حمل عنوان (تأصيل ثنائية المرجع والمتخيل في الشعر السياسي لنزار قباني)، ومباحثهما أنها دراسة تاريخية تشبه باقي رسائل النقد التاريخي؛ لأنها دارت حول حياة نزار وتعليمه وطفولته وعلاقاته بكت من حوله، فالمرجع هنا ارتبط على طول الرسالة كلها بالسياق الخارجي ولم يكن للمنهج البنيوي أثر الا في تسمية المنهج حسب.

## الخاتمـــة

لعل أبرز ما توصلنا له من نتائج في مسيرة هذا البحث تمثل بالآتي:

١- كشف البحث عن أهمية النقد التاريخي بوصفه منهجاً سياقياً يعتمد المرجعيات الخارجية والوثائق دليلاً في الحكم على إبداع الشاعر وتميزه، لذا نحت دراسات أكاديمية جزائرية دراسة هذا النقد للكشف عن جوانب كثيرة في شعر نزار، ولا سيما الجانب السياسي على النظرة التي أخذت عليه بأنه شاعر المرأة فكانت لدينا ست دراسات أكاديمية توزعت بين الماجستير والدكتوراه واعتمدت على نظريات تين وبرونتيير.

٢- لمسنا في بعض هذه الدراسات جهوداً طيبة ولا سيما في حديثها عن مواقف نزار قباني من الدين، والسياسية، والثقافة، وكشفت لنا جانباً من شخصية الشاعر المتمثل بتمرده على ما مر به الوطن العربي من أحداث، وما يعانيه أفراد مجتمعه من تخاذل وخمول.

٣- تناولت هذه الدراسات الأكاديمية الحديث عن مفهوم الحداثة المضادة لنزار قباني التي تمثلت بملامح الثورة على النظام السلطوي، وتفعيل التراث الخامل، واستعماله للغة بسيطة حقق من خلالها تواصلاً مع الجمهور بمستوياته الثقافية المتنوعة.ط٥- بعض الدراسات كانت تحمل طابعاً تحليلياً معمقاً في حين أن البعض الآخر لمسنا فيه بعض السطحية في التناول والمعالجة.

٤- تبين لنا من خلال هذا البحث أن ثمة أخطاء منهجية في الدراسات الأكاديمية الجزائرية التي تناولت شعر نزار تمثلت بعدم توثيق المعلومات سواء كانت في معلومات المصادر المقتبسة أو توثيق أسماء القصائد الشعرية.

**ثبت المصادر**


- أسرار القصائد الممنوعة لشاعر الحب والحرية نزار قباني، محمد رضوان، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.
- الأعمال السياسية الكاملة، نزار قباني، الجزء ٣، منشورات نزار قباني، بيروت، ط ٢ لسنة ١٩٩٩م
- الأعمال الشعرية الكاملة، نزار قباني، ج ١، منشورات نزار قباني، بيروت – لبنان، ط ٢، لسنة ١٩٩٨م.
- الأعمال النثرية الكاملة، نزار قباني، ج ٧، منشورات نزار قباني، بيروت – لبنان، ط ١، (د.ت).
- أنوثة المرأة وشعرية القصيدة، أحمد حيدروش، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠١م.
- البحث الأدبي طبيعته . مناهجه. أصوله. مصادره، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٧، ١٩٩٢م.
- بعض المختلف في شعر نزار قباني، محمد علاء الدين عبد المولى، مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي، www.ssrcaw.org.
- تقنيات التعبير في شعر نزار قباني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.
- جدلية نزار قباني في النقد العربي الحديث، على أحمد العرود، على أحمد العرود، دار الكتاب الثقافي، الأردن – إربد، ط ١، ٢٠٠٧م.
- الحداثة الشعرية العربية المعاصرة بين الشعراء والنقاد، رفيقة بركات، بإشراف: أ.د عبد الرحمن بن بطو، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف المسيلة، لسنة ٢٠١٥م.
- الحداثة والموقف النقدي عند نزار قباني – الشعر السياسي أنموذجاً–، سمية بيدي، رسالة ماجستير، بإشراف: د. محمد بوسعيد، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، لسنة ٢٠١٥م.
- الخطاب الشعري والموقف النقدي في كتابات الشعراء العرب المعاصرين أدونيس ونزار قباني أنموذجاً.

- دليل النظرية النقدية المعاصرة، بسام قطوس، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط ١، ٢٠٠٤م.
- في الأدب والنقد، محمد مندور، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.
- في النقد الأدبي، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٧٢م.
- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م.
- مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر مع ملحق قاموس المصطلحات الأدبية، سمير حجازي، دار التوفيق، سوريا، ط ١، ٢٠٠٤م.
- المرأة في شعر نزار قباني، مجلة Journal of nstitute of Social Sciences Bitlis Eren University، إيران، مج ٧، ع ١، لسنة ٢٠١٨م.
- المرأة ولعبة الحرف في شعر نزار قباني، دار محمد علي الحامي، صفاقس – تونس، ط١، ٢٠٠١م.
- المستخلص في النقد التاريخي مفهوم الوثيقة التاريخية – قواعد النقد التاريخي نقد التاريخ القديم، عارف أحمد إسماعيل المخلافي، دار النشر للجامعات، صنعاء، ط١، ٢٠١٤م.
- معجم الأساطير، ماكس شابيرو، ورودا هندريكس، تر: حنا عبود، دار علاء الدين، سورية– دمشق، ط٣، ٢٠٠٨م.
- معجم علم النفس والتحليل النفسي، فرج عبد القادر طه، وشاكر عطية قنديل، ومحمود السيد أبو النيل، وحسين عبد القادر محمد، ومصطفى كامل عبد الفتاح، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، (د.ت).
- مغاني النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م .
- مقدمة في النقد الأدبي، علي جواد الطاهر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م.
- من قصيدة دكتوراه شرف في كيمياء الحجارة، نزار قباني، www.nizariat.com، التي لم تصدر ضمن دواوينه المنشورة.
- مناهج البحث الأدبي، يوسف خليف، دار الثقافة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م .
- مناهج النقد الأدبي، يوسف وغليسي، جسور للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٧م.
- النادر والجوهر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٣، ١٩٨٢م.

❖ نزار قباني شاعر المرأة والسياسة، نبيل خالد أبو علي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

❖ نزار قباني شاعر المرأة والوطن، هشام شريف، رسالة الماجستير، بإشراف د. دليلة زغودي، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم اللغة والأدب العربي، لسنة: ٢٠١٦م.